

الحزب
الشيوعي
العثماني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى كلية التربية للعلوم

الدراسات
الاجتماعية
والاقتصادية

٤١٥

عنوان البحث

١) العلاقات التجارية لدولة الممالك مع ممالك
(أوروبا ٢)

بحث تحرر تقدم به الطالب

أحمد محمد حسين

بالت رئاسة قسم التاريخ

للحصول على شهادة البكالوريوس

أ.د. بأشراف الدكتور (محمد علي حسين)

٢٠١٦ م

١٤٣٧ هـ

الاية القرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لَقَدْ أَلْهَمَ مَالِكُ الْمَلِكِ تَوْثِي الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءُ
وَتَنْزَعِ الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءُ وَتَعَزَّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلَّ
مِنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

مدق الله العلي العظيم

(سورة آل عمران/ الآية ٤٦)

الشكر والتقدير

أود أن أشكر كل من باعرتني في بحثي
وأنا أشكر استاذي القائل والمشرق على بحثي
الدكتور محمد علي حيث باعرتني في جميع
المراجع الخاصة ببحثي وأود أن أشكر
المكتبة المركزية بجامعة ديالى كلية التربية
للعلوم الإنسانية .

((ألا هدا د ((

إلى الإمام علي بن أبي طالب ((عليه السلام)) .
إلى من يقرأ التاريخ ثقافة ووعي ودروس وعبر .
إلى من عوقب الحثات والرعاية والدايم الكرميات
أهديكم نقرة جيهدي .

المستويات

المستوى	الموضوع
١٧ - ١	المستوى الأول : قيام دولة المماليك البحرية صرفتها مرقها من اعزها .
٢ - ٤	١ - مقدمة وتبسيط عن الاحوال السياسية للدولة العثمانية (الدولة العثمانية)
٦ - ٤	٢ - قيام دولة المماليك البحرية (٦٤٩ - ٨٦٨) .
١٠ - ٧	٣ - الموضع الجغرافي واسمائه في التجارة .
١٢ - ١١	٤ - الطرق التجارية .
١٧ - ١٤	٥ - المراكز التجارية طهر .
١٨ - ١٨	المبحث الثاني : دولة المماليك البحرية وعلاقاتها التجارية مع الممالك الأوروبية .
١٩	١ - تمهيد عن التجارة في عصر المماليك البحرية .
٢٠ - ٢٠	٢ - الظروف التي ساعدت دولة المماليك البحرية في إقامة علاقات تجارية مع القوقاز الأوروبية .
٢١ - ٢١	٣ - العلاقات التجارية لدولة المماليك البحرية مع ممالك إيطاليا .
٢٢ - ٢٢	٤ - موقعت البندقية وحشوة من اسبيليا ، الصليبية على الاربعينارية .
٢٣ - ٢٣	٥ - ممر قلاوون وطريق الصليبية من بلاد الشام وموقعت المماليك والبيات المارقي .
٢٤ - ٢٤	٦ - العلاقات التجارية لدولة المماليك البحرية مع ممالك إسبانيا .
٢٥ - ٢٥	٧ - العلاقات التجارية الأوروبية - المملوكية بشكلها الطبيعي وعقائرها التجارية .
٢٦ - ٢٦	٨ - أوضاع ازدهار العلاقات التجارية بين الدول الأوروبية ودولة المماليك .
٢٧ - ٢٧	المبحث الثالث : دولة المماليك البوية تجارتها مع اسواقها .
٢٨ - ٢٨	١ - التجارة الداخلية والخارجية في عصر .
٢٩ - ٢٩	٢ - اسبيليا تدهور التجارة المملوكية .
٣٠ - ٣٠	٣ - السلم التجارية .
٣١ - ٣١	٤ - المظاهرات التجارية الأوروبية المملوكية في عصر المماليك البحرية .
٣٢ - ٣٢	٥ - الاسواق .
٣٣ - ٣٣	المبحث الرابع : دولة المماليك الجراكسة قيامها وعلاقاتها .
٣٤ - ٣٤	١ - قيام دولة المماليك البدية الجراكسة .
٣٥ - ٣٥	٢ - العلاقات التجارية الأوروبية - المملوكية في عصر المماليك الجراكسة .
٣٦ - ٣٦	٣ - العلاقات مع البرتغال والكنستوق الجراكسة .
٣٧ - ٣٧	٤ - الصراع مع البندقية في موقعت (ديو) ولها ، حالة من المقامات في عهد قانسونو .
٣٨ - ٣٨	٥ - البرتغال والتجارة المغربية وارباب التجارة الهند .
٣٩ - ٣٩	الخاتمة
٤٠ - ٤٠	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

تعد العلاقات التجارية في مقدمة الموضوعات الجديدة بالدراسة لما للتحية
من دور هام في تسيير أمور السياسة الخارجية والداخلية في مختلف دول العالم
كما يشهد دور مصر في النشاط التجاري العالمي كان بارزاً في مختلف عصوره على
الأخص العصر المملوكي حيث كانت العامل التجاري واحدة من أهم الأحياء التي
أدت إلى ازدهار النظام السياسي والحضاري في العصر المملوكي لا جيل ذلك قد
استدعت الأهمية التاريخية ضرورة التفرقة بالعلاقات التجارية لدولة المماليك
مع ممالك أوروبا هذا من حيث الأهمية للموضوع أما أسباب اختيار الموضوع
فهنا اثني كثر من عجيبة وإتته موضوع شيق وجيل ورغبت في التفرقة بما هو
أكثر من دولة المماليك من الناحية التجارية لكي أستفيد بالمعلومات والمعرفة
عن هذه الدولة الشاهقة ومن الأسباب الأخرى والمهمة كانت ميولي ودوافعي
ورغباتي واتجاهاتي نحو البحث قوية جداً بحيث كانت تأثر الموضوع بقوة
تأثيراً إيجابياً بالقيم وكما شأحت وأقبلت تفرقة أطبقها في حياتي العملية
لأنها كحسب امرراً كثيرة لم أكن أعلم بها من قبل أما المظهر والخطة التي
سرت عنها في البحث فتفرقت بتقسيمه إلى مباحث أربعة وكل مبحث عنوات رئيس
وموضوع ثانوية وكذلك مقدمته وخاتمة وعنوان المبحث الأول هو قيام دولة
المماليك البحرية موقعها من ممالكها وكثرها والمبحث الثاني دولة المماليك البحرية و
علاقاتها التجارية مع الممالك الأوروبية والمبحث الثالث دولة المماليك الميرية و
تجارها ومعاملاتها وأوراقها والمبحث الرابع دولة المماليك الجراكسة قيامها و
علاقاتها وأما من حيث المحتويات فالحقبات قلم أواجه أي صعوبة تذكر وذلك
لكثرة وفرة المصادر والمراجع في المكتبات العامة والخاصة ومكتبات الجامعة
وكذلك مكتبي الخاصة في منزلي الإلكتروني ومن المصادر المهمة المعتمد عليها
هي تاريخ دولة المماليك في مصر والشام (١٤٥٠ - ١٥١٧ م) لعبد ربهيل طهوش،
ومصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك لسيد عبد الشام عاصور، الموقف الحضاري
في مصر في عهد المماليك البحرية (١٤٥٠ - ١٢٨٤ م) منشورات محمد عبد الله الزبيدي.

وصف الله التوفيق

المبحث الأول

قيام دولة المالِك الجَرِيَّة موقعا ومراقبا ومراكزها

أولاً : مقصد أو تصديق عن الأحوال السياسية للدولة العربية الإسلامية (الدولة العنصرية) .

ثانياً : قيام دولة المالِك الجَرِيَّة (٦٧٨-٨٢٧) .

ثالثاً : الموقع الجغرافي وأهميته في تجارة مصر .

رابعاً : الطرق التجارية .

خامساً : المراكز التجارية لمصر .

أولاً: مقدمة أو تمهيد عن الأحوال السياسية للدولة العربية الإسلامية في الدولة الأيوبية

تُعتبر صلاح الدين وتأسيسه للدولة الأيوبية في مصر حيث شُنت أغلب المصادر التاريخية على ما فعله من الكرم والعدل التي أفلتت على دولته فيما بعد دولة الأكراد وقد تقيت كلمة كرم الذي هو بذلك نزل على الطبيعة بالأكراد أو الجيلية التي كانت كما يظهر مأدود اللذان ومع ذلك هناك رأي آخر ينسب أسرة صلاح الدين إلى أهل عرين حيث كانت قبائل الوب قتل عند الأكراد وتشربوهم وهم في الأسرة بالتحريض من قبل المروانيين فزع شيب إمامة صلاح الدين هو يورث بن نجم الدين أيوب بن حادي أو تازي بن مروان الكروي (١).

وطا وفقت بين الكليفة المسترشد بالله الديلمي والأمير عماد الدين زنكي ابن آق بقر سنة ٥٤٦ هـ / ١١٤٦ م تلك الحرب التي انتهت بهزيمة عماد الدين زنكي وفروا إلى مريجة شكرية وقد تقدر بنجم الدين أيوب طاعة زنكي في محنة هذه وثم له السبق لعبور نهر دجلة كما امتنح نجم الدين أيوب وأخوه أمد الدين بتركوه صحتهم وكانت هذه أول الموقعة بين عماد الدين زنكي وبين بنجم الدين أيوب وأخوه بتركوه وصداً، إسفارتها وانهل بتركوه بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وماتت أمهم أم حبيب ومقدماً على راسه طاعة من طاعته وشماعته وإفداه في الحرب كلما يقدم عليه غيره ونظلم شور الدين محمود إلى ١١٥١ هـ على صديقه وصديق لذلك أوتر إلى بتركوه بمكانة أقيم نجم الدين أيوب وطلب منه صاعقة وطلب بتركوه ونجم الدين أيوب في مقابل ذلك الحصول على خمسمائة الف طاعات في دمشق وبنل شور الدين لهما ماطلة قناعه نجم الدين أيوب في تسليم دمشق إلى شور الدين سنة ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ م (٢).

(١) طاجد عبد المنعم، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التاريخ الحديث (١١٨١-١١٩٥)، ط ١، دار الفكر العربي، (القاهرة ١٩٧٤ م)، ص ١٧٥.

(٢) صبيح صبيح عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المروعة الجامعية، ص ١٧٥ و ١٩٠.

وحينما عزم نور الدين على إرسال حملة إلى مصر لتطويق مملكة بيت المقدس
المليية من الحنوب باختيار لقيادة هذه الحملة القائد الأيوبي أحمد الدين
بئر كوه الذي حارب معه في بيت أخته صلاح الدين وتعر الملييون بظهوره هذه
الحركة فبادروا بالتدخل في شؤون مصر وإحياء هذه الحملة وتجنيد الأسرى
هنا إلى أن ذلك الجيش الذي قاده أحمد الدين بئر كوه إلى مصر كان
يتكون من معظمه من المماليك والامراء النورية مضاعفاً إليهم قوة
من المماليك اللاموية بلغت عدتهم عند وفاته الخمسة مئة مملوك
وما كان للمماليك الإردية من قبل في ذلك سنة ١١٦٩م (١٧).

على أية حال استطاعت الحملة النورية بقيادة بئر كوه أن تصل إلى القرم
فيل أن يتمكن المليون من اللحاق بها أو إغترافها وزحف بئر كوه صوب
القاهرة وبعد مصر (مصر عام) بمقارضاو كرسي الوزارة بالانته تشكر
لبئر كوه الذي أتم لنجدة وأخلت وعده الذي قلعه على نفسه لنور
الدين كما تهدى للجيش الإسلامي الذي قاده بئر كوه ومنعه من دخول القاهرة
وطلب العودة منه إلى بلاد الشام وثقه بئر كوه إلى مديته يلبس
وإحلالها وعسكر فيها بجيشه (٢٠).

ثم هاجم خاور والجيش المليي قوات أسد الدين بئر كوه الذي تقهقر إلى
الفرج من مدينة طابا العالية ولكن القوات المليية لحقت به هناك ولحقت
الهزيمة بالجيش المليي وكانت نصيب صلاح في هذا السر ملحوظاً في المعركة
التي عرفت باسم معركة (البايت) بعد ذلك هار بئر كوه بجيش صوب الفيوم
ومنها إلى الإسكندرية التي كانت حينها تتركها خاور وسيارته في التخلي
مع الملييت بدليل ما قدمه أهلها من مساعدات لقوات بئر كوه وصلاح الدين
وعلى الرغم من رحيل بئر كوه من البلاد المصرية فقد انقفت آموري مع شاور
على ترك حامية صليية صغيرة على أبواب القاهرة وقد أزعج المهرتبات
بروا جنود العدو على أبواب عاصمتهم كما بات هذه المسألة حيلة نور
الدين بإعادة جيشه إلى مصر (٢١).

-
- (١) أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، جميع الحقوق محفوظة
(دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٥م) ٦ ص ٤٢،
(٢) قاسم عبدة قاسم، علي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي
والعسكري، (المناشر) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٨٦، ص ٤٦،
(٣) محمد زهير، قاسم عبدة قاسم، علي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري،

ثانياً : قيام دولة المماليك البحرية (٦٨١ - ٨٦٨) :

أولاً : من هم المماليك /

المماليك :- كما يتضح من مدلول اللقب نفسه هم الرقيق الايبيقت الذين اعتمد عليهم حكام المشرق المومنين الاسلامي لا سيما في مصر والشام في مراعاتهم ضرر بعضهم البعض في خضم القوض السياسية التي كانت مخالفاً في هذه الاوضاع وفي وفاة السلطات الناصر صلاح الدين الايوبي وكانت اولئك الحكام المتنازعون يشترط المماليك مختاراً في سن الطقولة يتشؤونهم تنشئة عسكرية ومبارزة خاصة ليكونوا عديتهم في المراع المرحف (١) .

المماليك :- هو العبد الذي لا يملك حرية بل كان ملكاً لغيره وتطلق دولة المماليك أو سلطنة المماليك على المماليك الذين اشترى لهم المالك المالك نجم الدين ايوب ليكونوا له حيداً وحرساً لأنه لم يكن معيولاً من الكراه الذين يشكلون جيش الدولة الايوبية (٢) .

ثانياً : ظروف قيام دولة المماليك /

بعزماً إلى السلطات مالح نجم الدين ايوب في مصر تكوينة فرقة جديدة من المماليك وبقي لهم قلعة في جزيرة الروقة في بحر النيل ومن ثم سميت بالمماليك البحرية وكانت معظم هؤلاء المماليك البحرية من الاشراك حملوا من بلاد القفقاز شمال البحر الاسود ومن بلاد القوقاز وامشادوا بحسب الطلعة وجمال الشكل والبياعة الفاتكة والهاهولة المماليك البحرية يرجع الفضل في الانتصار على لويس التاسع وحملته الملية في المنصورة ثم في فارسكور ومن ثم فقد ازداد نفوذهم وقويت شوكتهم (٣) .

(١) قاسم عبيدة قاسم ، عمر سلطنة المماليك ، ط ١ ، (جميع حقوق الطبع

محفوظة - دار الشروق ، ١٩٩٤ م) ، ص ١٧ .

(٢) محمد عبد الله عودة ، تطور التاريخ الاسلامي ، (كمات ، ١٩٨٨ م) ، ص ١٥١ .

وبم ليل ساهي مكارم ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، ط ١ ،

لدار روافد - بيروت ، ٢٠١٠ م) ، ص ١٥ .

اختلف الماليك بعقدهم مع بعقت فالمالكية منهم تنامر شجرة الدر والمصرية
تعارفها وأصبح الإقير علم الدين سنجر العليي مقدم الماليك المالكية
غير أن الماليك المعزية قد وفيوا عليه وسجنوه وتغلبوا على الإفر
وبدأت الماليك المالكية تفر إلى ملوك الأيوبيين في بلاد الشام وقامة
إلى المصنيت عمر طامب الكرك وخرقه على أخذ مهر و قد حاول مررت
٦٥٥ و ٦٥٦ غير أنه فشل بكلتا المحاولةين بجهود ريت الدين قلز
أما الماليك المعزية فقد قدموا عليهم نور الدين عاليايت عز الدين
أيك الذي غدا سلطاناً طهر أما الذي يقوم بالسياسة عنه فهو الإقير
سنة الدين قلز ولكت لم يلبث قلز بأن عزل نور الدين علي و تسلم
السلطة بنفسه بعجة أن الدول كانت حقيقة وظروف البلاد تقتضي رجلاً قوياً
فالأيوبيون لا يزالون يطمعون بيمر والخطر الخارجي على ديار الإسلام فيمثل
في عدويت شريفة هما القنار والمليبيوت (١١) .

وفي ضم الصراع ضد الملية التي فتقهم الحملة الصليبية السابعة على مهر
قيادة لويست التاسع نوح السلطان الصالح نجم الدين أيوب وقامت زوجته
شجرة الدر بإدارة شؤون الحكم والعرب بمساعدة كبار إمرار الماليك وحيث
تولى (تورات شاه) إيت الصالح نجم الدين أيوب عرش البلاد باطردم وطمع
بشجرة الدر في ناحية وقوة الماليك ونفوذهم المتعاظم من ناحية أخرى وانتهى
الصراع بيمرعه على نحواً أسوأ مروع ثم ارتقت العرش شجرة الدر
لتكون أولى سلاطين الماليك في مصر والشام وهكذا قامت دولة سلاطين
الماليك لتدكم قرابة ثلاثة قرون من الزمان (٦٨٨ - ٩٢٢ م / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)
(١٢) .

ومما إن تسلمت شجرة الدر زمام السلطنة هي رأت في المهمة إعادة التوافق مع الملك
السعيد لويست التاسع القرشي بغية إجلال الملية عن الأراخي المصرية سير عتوا سلام
ومما لا يفوقه الإقير حكام الدين محمد بن أبي علي الهذلياني نائب السلطنة السابق بالنيابة
مع ملك قرشاً لهذا الشأن ففعل وتوصل معه إلى تثبيت المهامدة السابقة على أن يتحقق
المبلغ المتفق عليه إلى مع ألف دينار ملكي بدلاً من ٥٥ ألف يدفع على دفعات ويطلق
أخو الملك الكوش ديا جوانية رهينة بيد الملية فتدفع القسم الأول من المبلغ (١٣) .

(١١) محمود شاكر التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ط ٥ (١ بيروت - دمشق - عمان ١٩٥٤ م)
ص ١٧٠ .

(١٢) قاسم عيدة قاسم ٦ عهد سلاطين الماليك التاريخ البيطري والإجتماعي ط ١ (١٦٠٠)
للدراسات والبحوث العشائية والإجتماعية (١٩٩٨ م) ص ٤٦ و ٤٧ .

(١٣) عبد اللطيف عبد الهادي دولة الماليك ١ - ١٠ ص ١٠٠ .

ولم تلبث العترة وسور القمام ان تحكمت بالعلاقات بين المعز الدين
أبيك و شجرة الدر فانتقل الامر الى بيتهم مقلطهما وبذلك خلاصتهما
السلطة والمعروف عن الماليك انهم لا يؤمنون بمبدأ الوراثة في الحكم
ولكنهم غالبا يؤمنون ما خلاصتهما من السلطة فيسرعون بتعيين ابن السلطان الراحل
حتى يظهر بين صفوف الامراء الدليل القوي الذي يستطيع ان يخلع
على منافسيه وعندئذ يسهل عزل هذا الابن ليحل محله في السلطة
(١) ١

وهكذا حدث بعد مقتل أبيك ان اختار الماليك ابنه علي سنة ٦٥٥هـ
١٢٥٨م وكانت في الخامسة عشر من عمره وفي الوقت الذي كانت السلطان
المضمر علي بن أبيك يظهر بركوب الحمير في القلعة و اذا بالاحبار
تأثروا به وبنوا المغول بزعامة هولاكو واجتاحوا العراق واستولوا
على بغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م بعد ان قتلوا الخليفة المتعصم بالله
العباسي (٢) ١

وبعد عبور الجيش الهويي صحراء شبار وبوموله الى قرب العباسية في السوفية
على طريق القاهرة انقل الجيش المصري بقيادة المعز أبيك نفسه ودارت
بين الجيشين المعركة الحاسمة في شفر الشرق في نهاية الامر الى
الماليك وانهزم الهوييون وهدموا بيظفروت بالماليك
لولا تفاعست ائمة السامر وعدم ملاحقة الجيش المصري الذي كان قد
أسرف على الهزيمة هاتنا الفرقة للمعز أبيك التي كانت في مركزه
مع جماعة قليلة من الماليك البحرية وبالتالي كسب المعركة في ١٠
ذو القعدة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م (٣) ١

(١) ليل سامي مكارم ، قيام دولة الماليك الاولى في مصر والقمام ص ١٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٦

(٣) عبد الحاميد عبد الهادي ، دولة الماليك ص ٢٠

ثالثاً: الموقع الجغرافي وأهميته في تجارة مصر:

لقد كانت لموقع مصر الجغرافي أثرًا إيجابيًا في حياتها الاقتصادية والسياسية إذ يحدّها من الغرب البحر المتوسط والليبية ومن الجنوب بلاد النوبة أما من الشمال فيحدّها البحر المتوسط وبلاد الشام ومن الشرق البحر الأحمر مما مكنها من السيطرة بشكل واضح على منطقة حوض البحر المتوسط فضلاً عن ذلك جعلها حلقة وصل بين تجارة الشرق والغرب فيما وازر العصور الوسطى (١) .

وكان لموقع دولة المماليك على طريق التجارة الرئيسية بين الشرق الاثمل الهند والصين وجزر الهند الشرقية (والسودان الغربي و إفريقيا الوسطى من جهة وبين الغرب (الدول الأوروبية) من جهة أخرى مصدر دخل للمماليك للتعويض ما حل بهم من خسائر كبيرة نتيجة لاختلال النظام الإقطاعي إلا أن اكتشاف فاسكوديكاما البرتغالي طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧ حرم المماليك من هذا المورد الاقتصادي مما أدّى إلى إضعافهم وساعد في سقوط دولتهم (٢) .

وقد عمل قلاووت على توسيع نطاق الاختف التجاري للدولة المملوكية وقد ساعده على ذلك موقع مصر الجغرافي بين الشرق والغرب مما جعلها تلعب دوراً هاماً في الحركة الدولية التجارية (٣) .

(١) فتحى سالم حمدي، الأهمية الاستراتيجية لمصر في حياة الدولة المملوكية والاقمارية والاقمارية الاجتماعية في العصر المملوكي، ط ١، (عمات - دار عتدار ١٤٠٠ م) ص ١١٥ .

(٢) المطراوت ثولا با نظويو، سلامة الدولة المملوكية ودير القدس كاتريشا المستائية، ص ٢٠٠ .

(٣) أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٩٥ م) ص ١١٨ .

إن موقع مصر الجغرافي والاستراتيجي الممتاز كانت أحد عوامل تنويع
الرواج الاقتصادي والتجاري اللذين نعمت بهما فقد كانت مصر هي الممر
الرئيسي لتجارة الشرق فحارثتها إلى الغرب وكانت همزة الوصل بين
شفتي العالم كما كانت لمرور التجارة الهندية آنذاك عن طريقها
أثر كبير في رواج تجارتها وزيادة ثروتها (١١) .

إن هذا الموقع لمصر جعلها مركزاً للتجارة العالمية منذ القدم وكذلك الحال
في العصر المملوكي حيث حرصت سلطنة المماليك على إغناء التجارة من مختلف
البلاد إلى الميناء إلى مصر للتجارة ولهذا فقد ازدهرت الأسواق المصرية
وكثر رعاؤها ووصلها البضائع والسلع من الشرق والغرب ومن كل
أنحاء الأرض المعمورة في ذلك الوقت من أقصى الصين شرقاً إلى بلاد
أوروبا شمالاً وفي بلاد وسط وغرب القارة الأفريقية جنوباً وإسبانيا
إن مصر تطل على البحر المتوسط من الشمال والجزء الأحمر (القرن) من
الشرق وتوسط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا وتكون حلقة
الاتصال بينها وبين دول القارات الثلاث مما جعل لها أهمية كبيرة في
العصر الوسطى والحديثة (١٢) .

قدولة المماليك كانت تقع على أقصر الطرق المؤدية إلى الهند مصدر
السلع الأستراتيجي في أوروبا وتصل أوروبا بالمواسير المملوكية على المتوسط
وبخطوط تجارية منتظمة بين الشرق والغرب تمر في تلك المواسير وإن
وقوع مصر على أعظم وأهم الطرق التجارية البحرية وخرابها من مواطن الحضارات
التي قامت في غرب آسيا وجنوب أوروبا جعلها تتأثر بتلك الإقطار وتؤثر فيها
ولكن هذه الأهمية لم تلبث أن وقعت بعد أن تمكنت البرتغاليون بجهود
فاسكودينا غاما من اكتشاف ركن الربار الفالح فتحولت طرق التجارة العالمية
عنها إلى أفريقيا (١٣) .

(١) السيد السيد المنشارة تأريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي (دار
المصرية اللبنانية ١٩٩٢م) ص ٥٥ -

(٢) منشوات محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف الكفارية في مصر في عصر المماليك
البحرية (١٤٥٠ - ١٤٨٤م) ص ١٤ (النشر المكتبة الجامعية الحديثة ٢٠١٤م)
ص ١٥٤ و ١٥٥ .

(٣) المصدر نفسه منشوات محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف الكفارية في مصر في عصر
المماليك البحرية (١٤٥٠ - ١٤٨٤م) ص ١٥٥ -

إن الأهمية التجارية لمصر قد ازدادت بشكل ملحوظ نتيجة توسع الممر
الذي يفتح عنها طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والتي كانت
تمر بالخليج العربي أو البحر الأسود ثم فارس ولم يعد أصحامت هذه الطرق
سوى طريق البحر الأحمر ومصر وهو ما جعل مصر سلاطنت مصر الذي
الوفير ومكنهم من توفير الأموال الوفيرة الكفيلة بتحويل حروبهم
من الصليبية وقد تشبع عن ذلك بأن حكمت مصر بطريق التجارة
العالمية بوصفها البوابة التي تمر من خلالها البضائع الشرقية إلى الغرب
كما تسمى أيضاً البضائع الغربية للشرق (١) .

كانت التجارة من المظاهر الأساسية للنشاط الاقتصادي المملوكي وقد
ساعد موقع مصر والشام إستراتيجي وحدتها وتطورها في هذا
التغيير وأسهمت الحروب الصليبية في زيادة التبادل التجاري بين
المسلمين والصليبيين وأدت السفن التجارية ووراء كبيراً في نقل
البضائع من الموانئ المملوكية في مصر والشام إلى المدن التجارية
الأوروبية كالبرقية وحيوة وبيزا وغيرها وتقلت للمسلمين
الأخشاب والحديد والياقوت اللازمة لصناعة السفن والأسلحة
وعن الروح الصليبية وحالة العداوة المستمرة بين الطرفين (٢) .

(١) بشوات محمد عبد الله الزبيدي، الموسوعة التاريخية في مصر في عهد
المماليك البحرية (١٢٨٠ - ١٣٨٢ م) ص ١٥٤ .

وتم توثيق التاريخ الإسلامي للمصر

(٢) مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، دار المملوكيات
(دار إمامة للشؤون والنشر في الأردن - عمان ٢٠٠٤ م) ص ٤٧٧ .

وقد كانت من الأسباب التي جعلت من حلقة العمل في النشاط التجاري بين الشرق والغرب أولهما تأصيل طرق التجارة داخل مصر ذاتها حتى تشمل المناطق بلية من مواسن البحر الأحمر وبخامة عيذاب إلى مواسن البحر الأبيض المتوسط وبخامة دمياط والإسكندرية وتأصيلها بأغراء تيار الشرق على جلب بضائعهم إلى مواسن مصر المطلّة على البحر الأحمر ثم إغراء التجار الأوروبيين على التردد إلى أو على الإسكندرية ودمياط لشراء ما يلزمهم من حاجات الشرق (١) .

وكان لموقع القاهرة الجغرافي عند التقاء الطرق التجارية له أهمية وفائدة كبيرة من الناحية الاقتصادية إذ استخدم الطريق بين الشرق والغرب لنقل التجارة بين أفريقيا وآسيا وخارج المسلمين الأفريقيين إلى مكة وكانت توضع من الدفاري أهمية كبيرة من الناحية السياسية لوقوعها على أخطر طريق مومل للهند مما دفع بالدول الكبرى الاستعمارية في العصر الحديث إلى التناقص فيما بينها والاستفادة من موقعها الاستراتيجي فكانت محاولة نابليون للسيطرة عليه ومناقشة إنكلترا له في الميقات العسكري والسياسي والاقتصادي لأنه أصبح بآثاره ممر يهدد تجارة إنكلترا وأعظم مشعراتها الهند (٢) .

(١) حياة ناصر الحجي ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسلامية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين ، ط ١ ، (الكويت ١٩٨٠م) ص ٢٥٤ .

(٢) فتشوات محمد عبد الله الزبيدي ، الوقائع الكفارية في مصر في عهد المماليك البحرية (١٢٨٠ - ١٥١٧م) ص ١٥٤ .

رابعاً : الطرق التجارية :

١- طرق التجارة البرية :- هناك عدة طرق تجارية برية منها طريق يخرج من ممر السفلى (الوجه الغربي) إلى الغرب يسير ببحاذاة الساحل وكانت يسمى طريق السكة ثم عدل عنه بعد ذلك إلى طرابلس ومنها كانت يقود إلى القيروان ويعدها يسير إلى أنحاء تقسم على طول الساحل إلى السويس الأوش على المحيط الأطلسي وكانت هذا الطريق هو الطريق الرئيسي الذي يصل إلى الشرق بالأندلس وكانت هناك طرق برية آخر من الوجه الغربي انطاكية جنوباً عبر الواحات الداخلية والكفرة ثم إلى السودان الغربي (١) .

ومن الطرق البرية الأخرى الطريق البحري للثيل إلى قومن وهي مركز تجاري غاية في الأهمية وملتقى الطرق ومنه يبدأ طريق أسوات ثم بلاد النوبة ومنه يبدأ الطريق الآخر إلى عيذاب على البحر الأحمر وكانت هناك طريق برية للجمع من ممر إلى مكة عبر طريق صحراء عيذاب يركبون الثيل من ساحل أفريقيا إلى قومن يمدد العليا ثم يركبون الليل من قومن فيقطعون صحراء عيذاب إلى البحر الأحمر حيث يتربلون إلى حدة ساحل مكة وهكذا يعودهم إلى ممر وكانت قوافل التجار من الهند والحبشة تأتي إلى ممر عبر هذا الطريق (٢) .

وقد ذكر الفيلسوف طريق برية آخر من عيذاب إلى قومن حيث إن القوافل كانت تنقل على ظهور الإبل ثم تنقل إلى فندق الكارم بالانطاط في بحر النيل إن هذه الطرق كانت مؤمنة وتحت حراسة السلطات المملوكية لسلامة نقل التجار والأنظمة بين أحياء البلاد في الداخل وأصبحت القاهرة مركزاً لهذا النشاط التجاري في داخل البلاد وأصبحت أسواقها تنوي بكميات التجار أما وسائل النقل البرية فهي الحيوانات وخاصة الإبل والحمول والتمير وكانت تسير على شكل قوافل وتحت رقابة وحراسة المماليك في ممر أنطاط (٣) .

(١) نشوات محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف الحفارية في ممر في عم المماليك البحرية (١٤٠٤)

(١٩٨٤) ص ١٥٦

(٢) الممر نفسه ص ١٥٦

(٣) الممر نفسه ص ١٥٧

٢- طريق التجارة النهرية ١- كانت الطرق النهرية في مصر تستخدم لنقل السلع والبطائح ومما نهر النيل حيث إن الخير البالغ للملاحة فيه لا توجد فيه عوائق أو مشاكل ملاحية ويتهيأ عند نهاية الحدود الجنوبية لمصر لقد شكل هذا النهر الطريق المائي للمراكب القادمة من الإسكندرية إلى القاهرة عبر قناة تملها بالنيل وكانت على إمتداد (٢ كم) من مدينة الإسكندرية حيث إنشأ ثقل هناك بمدينة رشيد قرع النيل الغربي وقد قحت هذه القناة في عهد الناصر محمد بن قلاوون لحمل متعلق أمتان المتاجر والفلال إلى الإسكندرية لتوفير كلفة النقل وزيادة أموال الديارات وإن استخدام هذا الطريق لم يشمر طويلا لانتهائها بالوحد فتعذر سلوك المراكب فيها إلا في حالات فيضات النيل فإن المراكب تستطيع السير فيها (١) .

وقد اتصلت وصياط بالقاهرة من خلال هذا الطريق حيث إن التجارة التي كانت ترد من أوروبا تأتي عن طريق وصياط أو رشيد أو الإسكندرية ومنها تنقل بنهر النيل إلى القاهرة ثم قومن وبعبها تنقل على ظهور الإبل إلى عينا على البحر الأحمر كما كانت تنقل بواسطة نهر النيل مشحونات الشرق التي كانت ترد من الحبش والهند واليمن عن طريق البحر الأحمر من مدينة عينا ثم تنقل المراكب حملها في هذا الميناء وتحمل منه على ظهور الإبل إلى مدينة قومن التي كانت آنذاك عاصمة مصر العليا ومن هذه المدينة تنقل في النيل إلى القاهرة ومن القاهرة تواصل سيرها خلال قرع رشيد وخليج الإسكندرية (ترعة الحمودية) حتى ميناء تلك المدينة ومنه تهر إلى أوروبا (٢) .

ولم يكن نهر النيل الوحيد في النقل والملاحة والتجارة النهرية فكانت توجد ثرع وقنوات خارجية من نهر النيل تقوم بالدور التجاري نفسه الذي يقوم به النيل حيث كانت قناة الإسكندرية تؤدي دورها في عملية النقل النهرية من خلال المراكب والسفن الصغيرة التي تنقل البطائح والسلع والفلال إلى مدينة الإسكندرية (٣) .

- (١) مشوات محمد عبدالله الزبيدي ٦ الأوقاع الكفارية في مصر في عهد المماليك البحرية (١٢٥١ - ١٢٨٢م) ٦ ص ١٥٧ .
(٢) نفس المصدر ٦ ص ١٥٧ و ١٥٨ .
(٣) نفس المصدر ٦ ص ١٥٨ .

١٢- طرق التجارة البحرية :- كانت الطرق البحرية التي تسلكها تجارة مصر فيما عهد المماليك كثيرة حيث كانت للطريقين البحريين من الشرق الأقصى إلى البحر الأحمر فرعان يتجه أحدهما شمالاً بعد مغاررتة البحر الأحمر عبر سيناء إلى دمياط وموانئ البحر المتوسط أما الفرع الآخر فيتجه عبر الدخان إلى نهر النيل فالقاهرة ومنها بالنيل ارتباطاً إلى الإسكندرية فأوروبا إلى هذه الطرق تعتبره معويثات أو لاهما المسافة البحرية الواسعة من الصين إلى الهند إلى البحر الأحمر وما فيها من شتات بحرية هو أليمة مخارقة معظم المستوطنات فيها كثرة السحاب المرجانية التي تغرقها الملاحة في البحر الأحمر وقد ذلت هاتان المعويثتان عندما عمد البحارة إلى توثيق مواضع رحلاتهم مع هبوب الرياح الموسمية وإستخدام السفن الخفيفة التي تحمل الأبحار في وسط البحر الأحمر بعيداً عن السحاب المرجانية والفتارات المخارقة (١٢).

ومن الطرق البحرية الأخرى (طريق عيذاب) الذي كانت يمد من الطرق الأمنة لقلعة الشقي المرجانية الذي يمتد في قعر هذا البحر ومن هذا الساحل يتوغل إلى قوس بالبحر الأحمر ومن الطريق الآخر (طريق القصير) وهو فاحية الشمال من عيذاب وكانت يصل إليه بعض المراكب لقربه من قوس وبعد عيذاب ومنها وتحميل البضائع منه إلى قوس ثم من قوس إلى خندق الكرم بالقسطل ومنه بالنيل إلى موانئ البحر المتوسط (١٣).

وكان (طريق الطول) وهو ساحل في جانب الرأس الداخل في بحر القلزم حيث عقية أيلة وبينت به الديار المصرية وقد رغب بعض رؤساء المراكب في السير إلى لقرى المراكب فيه من بهر الحجاز حتى لا يتعب المبرعت المسافر فيه وكثرة المراسي في بهر (١٤).

أما (طريق السويس) فكانت على القرب من مدينة القلزم الخراب سياد الديار المصرية وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والقسطل بالإيات الدخول إليه تادر لإعتقاد التجارة البحرية على الطرق الأخرى (١٥).

(١١) شوان محمد عبد الله الزبيدي (١٩٠٤م) الكهانة في مصر فيما عهد المماليك البحرية (١٩٠٤م) ص ١٥٩ و ١٥٨.

(١٢) نفس المصدر ص ١٥٩.

(١٣) نفس المصدر ص ١٥٩.

(١٤) نفس المصدر ص ١٥٩.

خامساً: المراكز التجارية لعصر:

تعد المراكز التجارية رئة الحياة بالنسبة لأي دولة فهي النافذة التي تنطل على ما وراءها من عوامل وهي التي تشكل عصب الاتصال بين البلدان وتعد أحد أفلاك مربع النشاط التجاري وهي وسيلة النقل ومدى ملائمتها والعوائق ومدى ملائمتها للحركة الملاحية والسلع ومدى قابليتها للتداول وإساليب التعامل مع البحار (١).

ومن أهم هذه المراكز التجارية:

أولاً: - القاهرة / التي كانت تقع عند التقاء الطرق في العصور الوسطى بأفان المطرية التي كانت تستخدم بين الشرق والغرب لنقل التجارة بين أفريقيا وآسيا وأفريقيا الإسلامية الأفارقة إلى مكة كانت يمر في وسطها وإث المطرية التي كانت تحمل عليه البضائع القادمة من أفريقيا والحبشة كانت يشهري فيها (٢).

وكانت للقاهرة مميزات علمية أشهر الخيل هما بولاق والقسطاط حيث كانت ميناء القسطاط الميناء الرئيس في تجارة القاهرة في عصر المماليك البحرية حيث كانت تأتيه السفن القادمة من مطرية البحر الأحمر إلى عيذاب واليابا مع مركزاً لتجميع السلع والبضائع من الهند والصين واليابا كانت تصدر إلى مختلف انحاء الديار المصرية (٣).

(١) تشوات محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف التجارية في مصر في عصر المماليك البحرية (١٥٠٠-١٦٨٠) ص ١٦٠ -

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٠ و ١٦١ -

(٣) المصدر نفسه ص ١٦١ -

ثانياً :- الاسكندرية / كانت الاسكندرية من المراكز الهامة للتجارة بين الشرق والغرب حيث كانت تنقل منها التجارة الآتية من أوروبا إلى البحر الأحمر والتجارة الآتية من الشرق إلى أوروبا وكانت السفن بعد إبحارها من الاسكندرية ترسو أول الأمر في ميناء بركة حيث تكثر فيه السلع الشرقية والغربية في عصر المماليك وعلى هذا يمكن القول بأن الاسكندرية كانت سوقاً دولياً وميناءً حراً لمختلف البطانين ومكاناً مرمية في عصر المماليك يعرف باسم تغر الاسكندرية وعليه فإن الاسكندرية لا تقل أهمية وانتفاعاً وأهمية عن أكبر المدن التجارية في العالم كالبنديفة وحبوة ومرسيليا ولشبونة وكلكتا وزيتون باليهيت وكولونيا بألمانيا (١١) .

وإذا كانت عذاب وقومه قد ثرعتا حركة النشاط التجاري بالسيعة للتجارة الاسوية والأفريقية فإن ومياط والاسكندرية قامتا في عصر المماليك بدور بارز في استقلال التيار الأوروبي الذي يقود سفنهم عن طريق البحر الأبيض المتوسط لآسيا حاملات الشرق وبيع ما يحملونه من مشروبات للتوب (١٢) .

وحسب السلطات قلاووت على تأميم طرق التجارة داخل مصر حيث تحمل البطانين سلمية من مواش البحر الأحمر ونخامة عذاب إلى مواش البحر المتوسط ونخامة الاسكندرية ومياط ولتحقيق هذا الغرض أمر قلاووت الشريف علم الدين صاميا سواكن بأن يوقف بينه وبينه عرب جهينة وعرب رفاعة وكانت القنال قد إنشئت بينهم في حواء عذاب ١٤١٥ هـ ولا يعيت طائفة كلاب أخرى فوق قامت خضاد الطائف (١٣) .

- (١) مشوات محمد عبده الزبيدي في الأوقاف القارية في مصر في عصر المماليك البحرية (١٤٥٠ - ١٤٨٤ هـ) ص ١٦٤ -
- (٢) حياة ناصر الدين والعلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسيانية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر ميلادياً ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .
- (٣) محمد حمزة إسماعيل الحداد في السلطات النهرية قلاووت تاريخ أحوال مصر في عصره منشأة المعاصرة ط ٢ هـ حقوق الطبع محفوظة مكتبة مدبولي
- (٤) الناشر مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٨ هـ / ص ٦٩

و كانت للاسكندرية أربعة أبواب على جهاتها وفيها طريق رئيس يوصل الباب الشرقي بالغربي أما الباب الشمالي فكان ينفتح عن الميناء الذي كان يقع بالقرب منه الحي التجاري المطروح بالسكك والذي كانت تنتشر فيه القنصليات والمؤسسات التجارية الأجنبية ووجد في الاسكندرية موانئ عظيمة منها الميناء الشمالي الذي كانت محطتها لاستقبال السفن الأوروبية غير ان لم يكن آمنت من جراء هبوب الرياح الشمالية وكانت في هذا الميناء منارة على غرار المنارة القروية التي تعرضت للطمس والتي قام الظاهر بيبرس في سنة ١١٧٢م ببنائها لاستاد السفن التي لا تسطيع دخول الميناء بدورها (١) .

أما الميناء الثاني فهو مرسى السلسلة الذي كانت السفن الأوروبية تتحضر من الدخول فيه أو الاضرب منه لأنه كانت محطتها لاستقبال السفن الإسلامية التي كانت تأتي من المغرب والشام وكانت هذا الميناء أمثامت الرياح والعواصف كانت مدخله منقح وشعير وكانت يصب نحو الغرب وعليه فإنة أكثر ملائمة من الناحية التجارية لتفريغ حمولات السفن (٢) .

رائد تجار الكارمية مدينة قبرص في عهد مصر سقاً تجارياً واسعاً طشيان وسلا أفريقيا والهند والحبشة واليمن وساعد على ذلك بأن البغال كانت تنقل إليها ما يصار عبداً على البحر الأحمر عبر البحار الشرقية ومن قوص كانت تنقل في السيل مناجاً إلى القاهرة ودمياط والاسكندرية (٣) .

وه أدل على النشاط التجاري في عصر سلطنة المماليك من أنشعاش تغور مصر وموانئها مثل أسوان بالسياسة لجارة النوبة وعباد بالسياسة لجارة الهند والهند واليمن ودمياط والاسكندرية بالسياسة لجارة مع القوى الأوروبية وخاصة المدن الإيطالية (٤) .

(١) مشوات محمد عبد الله الزبيدي، الأوقاف الخطارية في مصر في عهد المماليك البحرية (١٤٥٠-١٢٨٤م) ٦٤ ص ١٦٤ .

(٢) المصدر نفسه، مشوات محمد عبد الله الزبيدي ٦٤ ص ١٦٤ .

(٣) محمد جعفر عيسى كاشف وجال الزبيدي، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الإسلامية (الناشر عبد العظيم رمضان) ١٩٩٨م ٤ ص ٤٤٤ .

(٤) محمد عبد الفتاح عاشور، مصر والتم في عهد المماليك (دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤م) ٦ ص ٤٦١ .

ثالثاً / ومياط / كانت ومياط مركزاً تجارياً مهماً عند مصب فرع النيل
 الشرقي حيث كانت تعد حلقة الوصل بين نهر النيل والبحر المتوسط وتصل بالقوافل
 البرية إلى البحر الأحمر (موانئ) ولا تدخل السفن ميناء ومياط مباشرة بسبب بُعد
 الميناء عن النيل ولزوم جزء من قعر البحر عندها، انما يخرج من ومياط قنطرة
 إلى بصيرة المشرقة حيث تدخل إليها السفن الكبيرة من البحر المتوسط حتى
 تيسر العبور بين مياط من البحر المتوسط (١) .
 وأصبحت ومياط من أهم الموانئ التي راحيت فيها التجارة بحكم موانئها وأصبحت
 ثغورها من أهم مراكز التجارة الخارجية (٢) .

وتشهد الفترات الخمسة عشر الميلادي بروت ومياط ميناء نشطاً تردت عليه السفن
 التجارية الأوروبية وفيها عدة قنصليات مثل قنصلية البندقية (٣) .

وكانت ومياط مركزاً مهماً لتبادل السلع والمياه العذبة والواردة من أوروبا وإفريقيا
 حيث يؤمها التجار الأوروبيون كالبندقية وبيالة القديس يوحنا في قبرص الميناء
 بغيره مع البندقية عن الحيثية والقلورية حيث يجهزون لهم على قنصل فيها أما
 القديس قلم يكن وجودهم في ومياط منتظماً وإزدادت أهمية ومياط لاستثمارها
 بصناعة السكر فقللت فريها من صرخة قنصية التي كانت مشهورة عالمياً بصناعة
 الشبغ وبها أقيمت ومياط كانت من المراكز التجارية المصممة في مصر في عهد المماليك
 البحرية لكنها لم تصل إلى المكانة العظيمة التي تشتهت بها الإسكندرية في ذلك
 العهد (٤) .

(١) فتاوى محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف الكفارية في ملوطي عم المماليك البحرية
 (١٤٥٠ - ١٢٨٤) ٦ ٥٥ ١٦٣ .

(٢) إسماعيل حسنة الشار محمد بن قلاوون ط ٦١ لا يجمع حقوق الطبع محفوظة
 والنشر للناسخ أرسن للكمبيوتر - ط ٢٠٠١ ١٩٩٧ ٥٥ ٤٩ .

(٣) صفيد الزبيدي، العر المملوكي ٥ ص ٤٤٤ .

(٤) فتاوى محمد عبد الله الزبيدي في الأوقاف الكفارية في ملوطي عم المماليك
 البحرية (١٤٥٠ - ١٢٨٤) ٦ ٥٥ ١٦٣ .